30 - السيدة أم كلثوم بنت عقبة

إسلامها وهجرتها إلى المدينة

اسمها أم كلثوم، والدها عقبة بن أبي معيط سفيهٌ من سفهاء قريش، وشقيٌّ من الأشقياء الذين آذوا رسول الله ﷺ أشد الإيذاء، والدتها أروى بنت كُريز، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه أخاها من أمها أروى.

أسلمت أم كلثوم سرّاً في غفلةٍ من أهلها، وكتمت إسلامها عنهم، وبعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة بقيت على ما هي عليه مدة من الزمن ثم عقدت العزم على الهجرة إلى رسول الله ﷺ حيث لا قلق ولا خوف ولا حزن ينالها بقربه؛ وبعد وصولها إلى المدينة اكتشف أخواها الوليد وعمارة اختفاءها، ولما بحثا عنها أخبرتهما امرأة من قريش أنها رأتها تسلك الطريق المؤدِّية إلى المدينة، فانطلقا في طلبها.

كان صلح الحديبية الذي عُقد بين رسول الله ﷺ وقريش يقضي بردِّ من يأتي من قريش إلى رسول الله ﷺ مسلماً بغير إذن وليِّه، ولا ترد قريش من يأتيها من المسلمين؛ فلما سمعت أم كلثوم بوصول أخويها هُرعت إلى رسول الله ﷺ، وقالت له: يا رسول الله، إنما أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعف، فأخشى أن يفتنوني في ديني، ولا صبر لي، وقال عمارة والوليد: يا محمد، لا بُدَّ من الوفاء بما عاهدتنا عليه، فردَّ النبي ﷺ عليهما أن الشرط كان في الرجال لا في النساء.

وغمرت الفرحةُ أمَّ كلثوم وعلمت أن رسول الله ﷺ لن يردَّها، ونزل على رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ

حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة: 10].

روى الترمذي، عَنْ الأَغَرِّ بْنِ الصَّبَّاحِ، عَنْ خَلِيفَةَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: 10] قَالَ: كَانَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ لِتُسْلِمَ حَلَّفَهَا بِاللهِ: مَا خَرَجْتُ مِنْ بُغْضِ زَوْجِي، مَا خَرَجْتُ إِلا حُبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ[1].

وامتثالاً لأمر الله العظيم دعا رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة إلى الامتحان، فسألها عمر بن الخطاب ﷺ - وكان هو الذي يمتحن النساء - وحلَّفها بالله ما خرجت رغبة بأرضٍ عن أرض، وبالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبّاً لله ولرسوله ﷺ؟ فلما حلفت على ذلك قال رسول الله ﷺ لأخويها الوليد وعمارة: « **قَدْ نَقَضَ اللهُ العَهْدَ فِي النِّسَاءِ بِمَا عَلِمْتُمَاهُ، فَانْصَرِفَا**»، وهكذا عاد أخوا أم كلثوم خائبين مخذولين، بمنٍّ من الله وفضلٍ، وعلمت المؤمنة الصادقة أم كلثوم أن الله لا يُضَيِّعُ مؤمناً، ولا يُسْلِمُهُ، ولا يَخْذِلُهُ أبداً.

زواجها من الحبّ

ولما طلَّق زيد بن حارثة امرأته زينب بنت جحش زوَّجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة ﷺ، وحين أراد رسول الله ﷺ إرسال جيشٍ إلى مؤتة للقاء الروم استعمل على ذلك الجيش ثلاثة أمراء، كان الأمير الأول زيد بن حارثة زوج أم كلثوم بنت عقبة.

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَ الأُمَرَاءِ إِلَى مُؤْتَةَ، وَقَالَ: «**عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ**

(1) رواه: الترمذي/ كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ/ باب: ومن سورة الممتحنة/ برقم: (3230).

حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ، فجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيُّ».

ولما وصل الجيش إلى مؤتة وجدوا أن الروم قد حشدوا لهم مئة ألف، وانضم إليهم مئة ألف من القبائل المستعربة، فاقترح ناس أن يكتبوا إلى رسول الله ﷺ بطلب المدد، ورأى آخرون أن لا حاجة لذلك، فإنهم إنما خرجوا يطلبون إحدى الحسنيين: إما النصر، وإما الشهادة.

وتقدَّم الأمير الأول زيد بن حارثة ﷺ يحمل راية رسول الله ﷺ فقاتل قتالاً شديداً، حتى سقط شهيداً، ثم تقدَّم الأمير الثاني جعفر بن أبي طالب ﷺ وأخذ الراية قبل أن تسقط، ثم عقر فرسه، واقتحم صفوف العدوِّ، فجاءته ضربة سيفٍ من أحد الخصوم فأطاحت بيده، فحوَّل الراية إلى شماله، فتلقَّى ضربةً أخرى فقطعتها، فاحتمل الراية بين عضديه، ثم أحدق به نفرٌ من جنود العدو فقتلوه، ثم تقدَّم الأمير الثالث عبد الله بن رواحة وأخذ الراية فقاتل ببسالةٍ حتى قُتل، فتقدَّم خالد بن الوليد فحمل الراية وأمَّر نفسه، فلما رأى كثرة الروم الكاثرة انسحب بالجيش إلى المدينة.

وفي المدينة كان الوحي قد أبلغ رسول الله ﷺ عما جرى للأمراء الثلاثة، فنعاهم المسلمين، وترحَّم عليهم ﷺ.

انتقالها بين خيرة الصحابة

وتأيَّمت أم كلثوم، حتى إذا أنهت عدَّتها تقدَّم لخطبتها الزبير بن العوَّام المبشَّر بالجنة، فتزوَّجها، وأثمر زواجهما عن مولودةٍ اسمها زينب، وكان الزبير ﷺ شديداً على النساء فسألته أم كلثوم طلاقها، فطلَّقها.

ولما حلَّت خطبها الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف المبشَّر بالجنة أيضاً، فتزوَّجته، وأنجبت له ولدين، هما: إبراهيم وحميداً، ثم مات عنها – رحمه الله تعالى –.

ولما انقضت عدَّتها تقدَّم لخطبتها عمرو بن العاص، ولم يمض على زواجهما أكثر من شهرٍ واحدٍ حتى انتقلت إلى جوار ربها، وفارقت الحياة.

كانت أم كلثوم ﷺ نِعْمَ المرأة المؤمنة التي تركت أهلها، ونبذت دين آبائها، وهاجرت من بلدها إلى المدينة المنورة طاعة لربها وحبّاً لرسولها ﷺ، رحمها الله تعالى، وجزاها من ينابيع خيره.